حول المنتفق

سألكم سائل عن (الحي اقريه) هي ام مدينه فكان الجواب (انها قريه لامدينه ان لغه وان اصطلاحاً (ولما كان لدى شئ عن بلاد المنتفق وعن المنتفق حاضرهم وباديهم جئتكم بما يمس البحث منه رغبة في الوصول الى الحقيقه التي كثيراً ماتوجد في وسط الاختلافات كما انها كثيراً ماتضيع في ظلماتها الكثيفه .

كانت تجاذب طرفي الفرات الادنى منذ عهد غير قريب عميرتان من اكبر عمائر العراق وهما خزاعه (الخزاعل) وكان منتهى مايحتلون من ضفاف الفرات « سدرة الاعاجيب » وسدرة الاعاجيب هذه شجرة نبق قائمة على متن الفرات دون السماوة باربع ساعات والاعاجيب قبيلة تنضوي تحت رايه خزاعه التي لم يكن يتجاوز احتلالها سدرة المنتهى المتقدمه الذكر والتي اصبحت اليوم عشائر اشتاتاً لاتجمعها تلك الجامعه وكانت قبائل المنتفق تحتل ماوراء تلك السدرة من ضفاف الفرات حتى يودعوه عند دجلة في ملتقى النهرين .

وقد جاء في مجلتكم النافعه ان (الغراف) كان من ديار المنتفق في الازمنه الخاليه وانا اعلم خلاف ذلك وقد اكون مخطئاً فان الغراف كان في الازمنه الخاليه من ديار ربيعه (الامارة) وهي العميرة الكبيرة التي تحتل ضفاف دجلة اليوم من « البغيلة » (تصغير بغلة) الى « الكوت » ويحتلون من الغراف فراسخ ايضاً تنتهي بارض يقال لها (البسروقيه) على خمس ساعات من الحي وذلك مما يقوي كون تلك البلاد بلاد ربيعة

ربيعة الفرس .

اما المنتفق فلما تتغلب على الغراف الا بعد ان قبض على صولجان الزعامة فيهم اجداد العائلة التي تدعى اليوم (آل سعدون) فانهم يومئذٍ ناهضوا (ربيعة) في تلك البلاد حتى امتلكوا اكثرها بشبا السيوف والاسنة واوضح دليل على ان الغراف لهم من بلاد المنتفق ان كثيراً من العشائر النازلة في صميمه اليوم هي من ربيعة لا من المنتفق فياح وآل سراج (وكلاهما كبداد) والعبودة وبنو ركاب وآل غريب والشحمان وعقيل وكنانة كل اولئك من ربيعة وكلهم في الغراف وبالجملة الغراف من ديار ربيعة في الازمنة الخالية والمنتفق متغلبون ولذلك فالبغضاء مستحكمة بين امرآء العميرتين وبسببها جرت حادثات مشهورة في تاريخ تلك البلاد الذي اكثره في الصدور لا في السطور وآخرها الحادثة التي ساعدت ربيعة فيها الحكومة على فتح بلاد المنتفق على الغراف وذلك في اخريات القرن الماضي فتم للحكومة الاستيلاء عليها واجلت زعماءها آل سعدون بعد ان كان لهم الحول والطول وغب ان استبحر نفوذهم في البصرة والاحساء .

هذا واراكم قرتم بين ربوع المنتفق على الشطين (الفرات والغراف) وابرزتموها كانها في صعيد واحد هو الغراف وذلك حيث قلتم عن ربوع المنتفق الحالية مانصه :

« تمتد من الناصرية الى الحي وبينهما شطرة المنتفق والحمار وسوق الشيوخ والبطحاء والبدعة وبني اسد وبني سيد والمشارقة وقلعة صقر الى غيرها من الاقضية والنواحي »

فنى كلامكم هذا تشويش وتصحيف وجمع بين بلادين بينهما بون بعيد ولعل تبعة ذلك على كتاب الافرنج الذين نقلتم عنهم فان بعض هذه البلاد على الفرات وبعضها على الغراف وها انا ذاكرها حسب عرفاني كايلي .

ربوع المنتفق على الفرات

(البطحة)

اوالبطيحة بالتصغير هى اليوم اول بلاد المنتفق على الفرات التى كانت تمتد من قبل الى ابعد من ذلك بكثير والبطحة (ولا يقال لها البطحاء كماجاء فى كلامكم) قرية قائمة على ضفة الفرات الغربية تبعد عن الناصرية من جهة الشمال اربع ساعات وهى حد بلاد المنتفق

[الناصرية]

اكبر مراكز المنتفق على الفرات وهى مدينة جميلة خططها ناصر السعدون احد امرآء المنتفق فنسبت اليه. وقد اقيمت على ضفة الفرات الشرقية واتخذتها الحكومة مركز متصرفية لها يوم استلمت ازمة البلاد وقرب هذه المدينة مصب للغراف طم اوكاد يعلم عليه اهماله وترك تطهيره. ويظهر الناصرية على نصف ساعة منها بحيرة (ابو قداحة) البهائة التى تنتهي اليها فضول مياه دجلة والفرات. والبحيرة تهدد البلاد بالفيضان ولم تمسح على التحقيق الا انها تبلغ بضعة اميال عرضا وطولا والظاهر انها دعيت (ابو قداحة) لانها تقدح الشرر ولعل ذلك لكثرة الاحياء

الفصفورية فيها (١)

(سوق الشيوخ)

الشيوخ هم مشايخ المنتفق اى زعماؤهم وهناك كانت سوقهم يبتاعون منها مايضطرون اليه . وسوق الشيوخ اليوم بلدة على متن الفرات تحوطها البساتين واكثر مافيها النخل مثل الناصرية ولكن هواءها غير صحي وتكثر فيها على الاخص حمى الغب وهى مركز قضاء للحكومة على ساعتين من جنوب الناصرية وور آسوق الشيوخ الحمار (وزان شداد) وهو هور من اهوار الفرات ومن بلاد المنتفق ايضاً ووراءه طوائف (الجزائر) فالقورنة وعندها يلتقى النهران دجلة والفرات .

وقد ذكر (الحمار) ياقوت وقال انه موضع بالجزيرة وذكر فى

---

(١) وقد يكون هناك سبب آخر غير الاحياء الفصفورية هو وجود غاز مهدرج مفصفر Gaz de hydrogène phosphoré يتصاعد من قعر البحيرة لما هناك من الانبتة كما يشاهد مثل هذا الحادث فى اغلب الاجام والمستنقعات والبحيرات التى تكثر فيها الانبتة . وكذلك يتصاعد مثل هذا الغاز المشتمل من المواطن التى فيها حيوانات اومواد حيوانية منحلة كما يرى ذلك فى المقابر الكبيرة والمجازر القديمة التى تتراكم فيها المواد . وهذا مايسميه الافرنج بامعناه « النار التائهة » feu follet وسماه العرب الاقدمون باسم « بهمن » وسوف نعقد له فصلاً عند سنوح الفرصة ان شاء الله تعالى لنثبت صحة هذه اللفظة بهذا المعنى مع ذكر النصوص واستعمال كتاب العرب الاقدمين لها . (لغة العرب)

(قورين) انها مدينة بالجزيرة ايضا ولعلها (القورنة) (٢) وهي مدينة على رأينا لا على رأيكم . اما الجزيرة فتوشك ان تكون مابين النهرين . نقول كل ذلك تقريباً لاتحقيقاً . واقرب من ذلك ان الاصل فى القورنة (قرنة) على زنة عجنة . الا انهم اشبعوا الضمة فكانت واواً . والقرنة لغة الشاخص من اطراف الشئ اى البارز . وغير خفى على المقبل من شط العرب على الجزيرة ان ول ما يشخص لعينه مما بين النهرين هو هذه البلدة لانها حيث يلتقى النهران . وقد يقال انها دعيت « قرنة » لانها حيث يقترن الشطان غير ان الكلمة ليست اسم « مكان » هذه هم مراكزهم على الفرات .

---

(٢) لانظن ان قورين هى القرنة . لان القرنة لم تكن فى عهد ياقوت . بل كان يجتمع الرافدان يومئذ عند مطارة . قال ياقوت : مطارة من قرى البصرة على ضفة دجلة والفرات فى ملتقاهما بين المذار والبصرة . وقد ضبط ياقوت اللفظة فى كتابه الاخر وهو مراصد الاطلاع : « بالضم ثم السكون وراء مكسورة وياء باثنتين من تحت » . وقال انها « مدينة بالجزيرة » ولم يزد على هذا القدر . فقورين لاتشبه القرنة لالفظاً ولا كتابة . ثم ان « القرنة » تكتب بدون واو بين القاف والراء لانها اسم مصدر لفعل اقترن لكون الفراتين يجتمعان اليوم عندها . واما كتابتها بالواو فهو من اصطلاح الاتراك . وهم ليسوا بحجة ثبت فى هذا الباب . والقول ان الضمة اشبعت فولدت الواو هو غير مقبول فى الشعر فكيف فى النثر . واما كون الكلمة ليست اسم مكان . فهذا لايمنع اطلاقها على المكان من باب حذف المضاف اومن باب مطلق التسمية كما سموا اسقاعاً بابارق وابراق ونجد وجبل واب (بتشديد الآخر)

هذا ولو فرضنا انه يوجد بعض المناسبة بين لفظ القرنة وقورين فهناك امر آخر يمنعنا من ان نجعلهما اسمين لمسمى واحد ، وهو ان ياقوت يقول فى كلا كتابيه

﴿ بلاد المنتفق على الفراف ﴾

الفراف نهر كبير مخرجه من دجلة ومصبه فى الفرات يحدر اليه من الجزيرة ويصب فى موضعين منه اعظمهما مصب الحمار قرب الناصرية فضمحل ضيق على ان الفراف كله على وشيك الاضمحلال والمنتفق عليه مراكز مهمة ومنها :

[الشطرة]

يتشعب الفراف شعبتين قبل انحطاطه الى الشطرة بستة كيلومترات وتذهب الشعبة الكبرى منهما الى الحمار وتصب الثانية بظهر الناصرية فى شعبة من شعب الفرات وعلى هذه الشعبة الصغيرة بلدة الشطرة الجميلة وقد قضى عليها نحس الطالع ان تكون فى محيط فتن المنتفق

انها من مدن الجزيرة والحال ان موقع القرنة هو فى العراق لا فى الجزيرة . والمراد بالجزيرة هنا جزيرة اقور او بين النهرين كما ذهب اليه حضرة الكاتب نفسه . « وجزيرة أقور هى ديار اشور » بدون ادنى ريب لان اليونان والافرنج انفسهم يسمون تلك المدينة باسم « قوين » كما ضبطها ياقوت وقالوا انها فى الجزيرة او ديار اشور او بين النهرين او جزيرة اقور الى غير هذه المترادفات . وهى باليونانية Kureenee وبالفرنسوية Cyrène راجع معجم Alexandre Dictionnaire grec - français,II,p.81,col.1. . وقد تطلق اللفظة عندهم على مدينة ثانية واقعة فى افريقية وهى التى يسميها العرب « القيروان » تمييزاً لها من « قوين » الواقعة فى الجزيرة . ولحسناً عملوا بوضع لفظين متميزين الواحد عن الاخر اعانة لسهولة الفهم عند التلفظ بكل منهما . (لغة العرب)

الاخيرة فانحطت عمراناً واقتصاداً وقد كان يؤمل لها مستقبل زاهر ولكن أبى ذلك جهل الاهلين ، وسوء نية المتولين .

[قلعة سكر]

بليدة آهلة حسنة الموقع على متن الغراف تبعد عن الشطرة من جهة الشمال ثماني ساعات وقد نسبت الى (سكر) (كعنب) بن مشلب (وزان مذهب) موسسها وهو زعيم عشيرة تدعى (الطوقية) والعشيرة هذه تقيم فى اعراض البلدة وتسوم المترددين اليها سوء العذاب وقد جاء فى كلامكم انها (قلعة صقر) وهو تحريف والصحيح ماتقدم (٣). وجاء فى كلامكم عن بلادهم (بنو سيد) والظاهر انه تحريف: (بنى زيد) (٤) وهم طائفة تقيم فى البدعة على شعبة الغراف الذاهبة الى الحمار. اما (المشارقة) التى جاءت فى كلامكم فلا يعرف مكان اوطائفة بهذا الاسم فى الغراف بل فى بلاد المنتفق اجمع .

---

(٣) الذى ازلنا فى التصحيف هو ان الاعراب يلفظونها « سجر » بجيم مثلثة فارسية كما هو مالوف عادتهم فى لفظ الكاف العربية فظننا انها مصحفة عن « صقر » . ونحن لم ننقل شيئاً فى هذا الموضوع عن الافرنج بل استناداً على ماخذناه عن اهالى تلك الديار بانفسنا، لاننا تجولنا فيها مراراً عديدة وفى سنوات مختلفة . ودونا فى مذكراتنا ماسمعناه عن كبار رواتهم .
(لغة العرب)

(٤) هذا من تصحيف الصفاف . ويعلم الله ماتقاسى من الاتعاب فى تصحيح المسودات ومع ذلك يقع من الاغلاط شئ غير يسير . (لغة العرب)

[الحي]

من مدن الفراف المهمة الحي وهي قائمة على ضفته الغربية وتبعد عن القلعة ثماني ساعات ايضاً. واما قولكم ان الحي: (قرية لا مدينة ان لغة وان اصطلاحاً) فمنظور فيه، لان للقرية اطلاقات: فمنها (المصر الجامع) وقد ذكرتموه، ومما تطلق عليه (الضيعة) والضيعة هي الارض المغلة بما فيها من بيوت وسكان وهذا هو الذي جعلتموه معنى عرفياً اصطلاحياً اي محدثاً مع انه لغوي فصيح، وقد اغفلتموه وذلك حيث قلتم: (واما اصطلاحاً فالقرية هي البلدة التي اغلب سكانها اهل زراعة وفلاحة. وهذا ايضا يصدق في الحي ولا يصدق فيها كلمة مدينة). هذا كلامكم. واما اقول: ان (الحي) مدينة لان المدينة، المصر الجامع وكذلك الحي. وليست بقرية، لان القرية: هي الضيعة في الاشهر لغة واستعمالاً. والحي ليس بضيعة وعلى هذا فاستعمالكم (القرية) بمعنى (المصر الجامع) استعمال بعيد او متروك فقد اصبح من المنكر ان يقول الفصيح لمثل بغداد او البصرة (قرية). اما تخصيص المدينة بذات السور فانه من تنطعات اللغويين، والفصحاء يأبونه وقد تمسكتم به على انه ضعيف ومجهول قائله (٥) وما تعطيه عبارتكم من ان اكثر سكان

(٥) نقلنا كلامنا عن صاحب محيط المحيط والذي في اللسان : « المدينة الحصن يبنى في اصطمة الارض مشتق من ذلك ، وكل ارض يبنى بها حصن في اصطمتها فهي مدينة » اه ولما كان اغلب الاحيان لا يبنى حصن الا ويكون قد سبقه سور لتحصين المحل الماهول تبادر الى الذهن ان المدينة هي البلدة المسورة (لغة العرب)

الحي اهل زراعة وفلاحة خلاف ماشاهدناه (٦) لان سكان الحي لفيف من الاكراد والبغاددة والعرب المتحضرين من الغراف وغيره. واكثرهم ابعد الناس عن الزراعة وانما هم تجار حبوب واقمشة وباعة بقول وعقاقير وصناع وحاكة وذلك على النحو المعهود في طبقات كل مدينة .

ثم انكم قلتم في اخر كلامكم على بلاد المنتفق مايأتي :

(ونهر الغراف ينقسم هناك الى شعبتين فالشعبة التي عن يمينك تسمى « ابو جحيرات » مجموع جحيرة مصغرة حجرة (٧) والشعبة التي عن يسارك يقال لها « شط العمى » لانه لايدفع مياهه الى نهر اخر ولان الرمال تدفن عقيقه رويداً رويداً ولا يوجد الماء في هذه الشعبة الا اربعة اشهر في السنة هي اشهر الشتاء)

اما ان النهر ينقسم قرب الحي الى شعبتين فصحيح ولكن شعبة اليسار تدعى « ابو جحيرات » بتقديم الجيم لابتأخيرها وكانه مصغر

---

(٦) الذي شاهدناه نحن ان اغلب سكان الحي اهل زراعة وفلاحة وفيهم ايضاً اصحاب مهن وصنائع ودكاكين . والقياس يؤخذ من باب الاغلبية كما هو مشهور. (لغة العرب)

(٧) الذي كنا ذكرناه هو ابو جحيرات » بتقديم الجيم على الحاء وما ذكرنا ما ذكرنا الا دفعاً لوهم ، وعند تصحيح المسودة لم نلتفت الى التنقيط فصدر ما صدر . وعلى كل فاننا نشكر كل الشكر حضرة الكاتب على تنبيهه هذا . ونلتمس منه كما نلتمس من غيره ان ينبهنا على كل غلط يراه مهما كان مصدره ومنشاه وسببه (لغة العرب)

جحرة (على زنة غرفة) وهي جمع بجحر الضب فيحتمل ان الضبان كانت كثيرة هناك وربما كان بنو المتنفق يحترشونها كما يحترشون اليربوع من نافقائه !!!

وبتقديم الجيم يلفظها الناس هنالك وكذلك تلفوها وبعد فهل لديكم دليل يدفع (التلق) ويضاد ماعليه الناس ؟ اما في اللغة والتاريخ فلا حجة لاحد الفريقين على ماعلم .

اما تسمية الشعبة الثانية (شط العمى) فلان الماء لايصعده ابداً وليس لانه لايدفع مياهه الى نهر آخر فلا مياه فيه حتى يدفعها وقولكم ان الماء يوجد فيه اشهر الشتاء غريب اذلا يوجد فيه ولا يوماً واحداً من ايام الشتاء والصيف وانما الذي ياجه الماء ايام الشتاء وبعض ايام الصيف هو ابو جحيرات وهو هو شط الغراف لاغير ولكنه يبس في اكثر ايام الصيف والخريف . (النجف) محمد رضا الشبيبي

(لغة العرب) تشكر حضرة الكاتب الشهير على مقالته هذه اليتيمة وتؤمل انها تكون راس عدة نبذ تكون حلقاً متتابعاً . ان في المعنى الذي تعرض له هنا وان في سواه ، ان نثراً وان شعراً ، وهو الشاعر الناظم ، والناثر الناغم .

ثابت الدين الآلوسي

١ نسبه

هو السيد محمد ثابت الدين افندي اكبر انجال العلامة والمحرر